رمضان وغض البصر ٩-٩-١٤٣٩هـ

الخطبة الأولى

الحمد لله الخلاق العليم﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾وخلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، نحمده حمد الشاكرين؛ فقد بلغنا هذا الشهر الكريم، وأمدنا فيه بأنواع النعيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ عظيم شأنه، واسع علمه، ماض حكمه، عدل قضاؤه، لطيف بعباده، خبير بخلقه، لا يخفى عليه شيء منهم، ولا تدركه أبصارهم، ولا تحيط به علومهم، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله؛ بشر أصحابه برمضان، وعلم أمته أحكام الصيام والقيام، وعظم في نفوسهم حرمة الشهر، وبين لهم ما فيه من الثواب والأجر، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه وجدوا واجتهدوا في هذا الشهر العظيم؛ فإن سلعة الله تعالى غالية، وإنها تنال بالإيمان والعمل الصالح، حافظوا على الفرائض، وأتبعوها بالنوافل. لازموا المساجد، ولا تفارقوا المصاحف. أطعموا الطعام، واسقوا العطشان، وابذلوا الإحسان، وأكثروا من البر، واحتسبوا الأجر ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

أيها الناس: شهر رمضان شهر الخيرات والبركات، والكف عن المحرمات.. فرض الله تعالى صيامه على المسلمين، وعلل الصيام بالتقوى﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ومن التقوى حفظ الأبصار عن رؤية الحرام، وحفظ الأسماع عن سماعه، ومعصية النظر إلى الحرام تكاد تكون المعصية الأكثر وقوعا في هذا الزمن، بل هي الأكثر، ويقترن بها في الغالب معصية سماع الحرام، وإن كان النظر إلى الحرام أكثر من سماعه.

إن الله تعالى قد فتح للبشرية وسائل الاتصال، وهيأ لهم غزو الفضاء بالأقمار الصناعية التي كانت فتحا عظيما في البث المباشر من أي مكان في الأرض، فهبطت مئات القنوات من الفضاء على بيوت الناس، وصار كل شيء يعرض فيها، ولا يمكن الرقابة عليها. ولأن النظام العالمي إلحادي التأصيل، علماني النشأة، شهواني الغاية؛ صار ما يعرض في الفضاء، ويصل إلى الناس في البيوت، مرتكزا على ترفيه الإنسان بالحلال والحرام، فشره بحر مظلم كبير، وخيره قطرات في ذلك البحر المنتن، وعظمت بهذا الفتح معصية النظر إلى الحرام، واقتحمت على الناس غرفهم. والعاكفون على الشاشات لا تكاد تمر عليهم لحظة لا يقعون فيها في معصية النظر إلى ما حرم الله تعالى؛ لأن القنوات مملوءة بذلك، في البرامج الجادة والهازلة، والأفلام والمسلسلات والدعايات الإعلانية، بل حتى أخبار المذابح والمجازر تلقيها على المشاهدين امرأة جميلة سافرة بأبهى حلتها، ومنتهى

زينتها، وألف الناس النظر إلى الحرام، وصار جزءا من عيشهم فاق في كثرته طعامهم وشرابهم، ونافس هواءهم. ثم جاءت الشبكة العنكبوتية فعُرضت فيها ملايين المقاطع والصور، وأتيحت لكل أحد في جهازه الخاص، فعظمت معصية النظر المحرم واتسعت؛ لأن ما لا يجده المرء في الفضائيات صار يجده في جهازه الخاص، وما يستحي أن ينظر إليه أمام الناس يبصره وحده. ثم جاءت الهواتف الذكية فاتسعت معصية النظر إلى الحرام اتساعا عظيما حتى دخلت مع الناس دور العلم والمعرفة، وأماكن التبتل والعبادة؛ لأنه يحمل جهازه في جيبه، وتأتيه المقاطع في كل وقت حتى في المسجد.

إن من يحاول أن يحصي كم يقع الواحد من الناس في معصية النظر الحرام في يومه وليلته ليغبط من ابتلوا بفقد أبصارهم؛ إذ عصموا من هذا البلاء الذي عم وطم، ولم يترك أحدا إلا وقع فيه. حتى قارئ القرآن لا يجاوز آيات معدودة إلا ويخرج جهازه من جيبه بسبب رسالة جاءته فيترك المصحف ويقبل على النظر فيه، وقد يقع في معصية النظر ومصحفه بين يديه.

إن الله تعالى حين امتن على العبد بنعمة الإبصار، طالبه بالشكر ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾

إن كثيرا من الناس يشتكون قسوة قلوبهم، وشرودهم في صلاتهم، وفقدهم حلاوة قراءتهم، وذهاب لذة الخشوع من قلوبهم، وإن لمعصية النظر أثرا كبيرا على القلب، فقد خربت القلوب بإدمان النظر إلى المحرمات، يشاهد الواحد صورة امرأة أو مقطعا تمثيليا أو خلاعيا، فيعلق بذهنه، وينزل أثره على قلبه، فيصدأ القلب من كثرة ما يهبط عليه من أقذار البصر التي يشاهدها، فما عاد للقرآن لذة، ولا للصلاة خشوع.

إننا يا عباد الله في هذا الشهر الكريم، ومعصية النظر إلى المحرمات تحيط بنا من كل جانب، فبيوتنا مليئة بها، وهي في غرفنا، وفي جيوبنا لا تفارقنا أبدا، فهل نعلن انتصارنا على النظر إلى المحرمات، ونوجد الوسائل الحافظة لأبصارنا؛ لتصح قلوبنا، وتستقيم أحولنا، ونجد لذة في عبادتنا، وحلاوة في مناجاة ربنا؟!

إن الله تعالى قد أمرنا بغض الأبصار في رمضان وغيره ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾وفي آية أخرى﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾.وإن الاستهانة بالنظر إلى امرأة سافرة في نشرة إخبارية، أو مقطع فكاهي، فيه مخالفة للأمر الرباني بغض الأبصار، فكيف بما هو شر من ذلك في أغان مصورة خليعة، وأفلام ومسلسلات رقيعة؟! وفي رمضان ينشط أهل الشر والحرام ليوقعوا الناس في معاصي النظر، ليصل أثرها للقلوب فتقسو، فيتثاقل أصحابها عن الطاعات. يقول أبو الحسين الوراق رحمه الله تعالى: مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مُحَرَّمٍ أَوْرَثَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ

حِكْمَةً عَلَى لِسَانِهِ يَهْدِي بِهَا سَامِعُوهُ وَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ شُبْهَةٍ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورٍ يَهْتَدِي بِهِ إِلَى طَرِيقِ مَرْضَاتِهِ.قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإذا كان النظر إلى محبوب فتركه لله عوضه الله ما هو أحب إليه منه، وإذا كان النظر بنور العين مكروها أو إلى مكروه فتركه لله أعطاه الله نورا في قلبه وبصرا يبصر به الحق.ا هـ

إن قلوبنا محتاجة إلى إصلاح خللها، وتليين قسوتها، وتطهيرها مما علق بها، وأنسب ميعاد لذلك هذه الأيام الفاضلة؛ حيث الصيام والقرآن والإحسان والإقبال على الله تعالى؛ فلنعمر قلوبنا بحب الله تعالى ومحبه ما يحبه، وكراهية ما يبغضه، يقول الحسن بن مجاهد رحمه الله تعالى: غض البصر عن محارم الله يورث حب الله تعالى. والقلب إنما يصح ويصلح بحب الله تعالى ولو خالف الإنسان هوى قلبه؛ وإنما تفسد القلوب باتباع أهوائها، ولو خالفت مرضاة الله تعالى، قال خالد ابن أبي عمران رحمه الله تعالى«لا تتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نَغَلَ منها قلبه كما ينغل الأديم فلا ينتفع به» أي: يفسد فساداً لا صلاح بعده. وقال العلاء بن زياد رحمه الله تعالى: «لا تتبع بصرك رداء امرأة فإن النظرة تجعل في القلب شهوة»وسئل الإمام أحمد عن الرجل ينظر إلى المملوكة؟ قال«إذا خاف الفتنة لا ينظر، كم نظرة قد ألقت في قلب صاحبها البلابل».

عباد الله كل هذه الآثار عن السلف تدل على خطر النظر إلى المحرمات، وما يسببه من فساد القلب، فمن أراد صلاح قلبه في هذا الشهر الكريم فليجتنب المحرمات، وليغض بصره عنها، وليحفظ سمعه منها، ولو مكث أكثر وقته في المسجد لئلا يشاهد المحرمات، وكان أبو هُرَيْرَةَ وأَصْحَابُهُ إِذَا صَامُوا قَعَدُوا في المَسْجِدِ، وقَالَوا: نُطَهِّرُ صِيَامَنَا» بارك الله لي ولكم في القرآن ونفعني وإياكم بما فيهما من الذكر الحكيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وأكثروا من الأعمال الصالحة، ونافسوا على الدار الباقية، ولا تغرنكم الفانية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغَرُورُ ﴾

أيها المسلمون: الصوم جنة يستجن بها الصائم من الوقوع في الإثم، كما قال النبي ﷺ «الصِّيامُ جُنَّةٌ، فإذا كَانَ أَحَدُكُم صَائِماً فلا يَرْفُثْ ولا يَجهَلْ...» رواه الشيخان.

والنظر حال الصيام إلى المحرمات فيه رفث، وهو جهل بعظمة الله وبقدر الصيام، وبحرمة رمضان عند الله تعالى، لكن لكثرة الواقعين فيه رقّ هذا الذنب عند الناس

وهو عند الله عظيم. ولأن الصوم جنة عن المحرمات أمر به الشاب الذي لا يجد مئونة النكاح لئلا يقارف الحرام، والأبصار بريد القلوب للعشق والغرام والتعلق بالفواحش والآثام. وقال النبي ﷺ في الصائم «مَنْ لَم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ فَلَيسَ لله حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ» رواه البخاري. **وكل مجلس يحتوي على مناظر محرمة فهو مجلس زور، والمشاهد لهذه المحرمات يعمل بالزور، ويشاهده ويسمعه، فيا ليت شعري كيف يصوم العبد نهاره، ويتحمل حر الهاجرة، وشدة الظمأ، وينصب في التراويح مصليا، ثم يفارق ذلك إلى مجالس الزور أمام الفضائيات، أو يقطع نهاره بها؟! ويخشى على من كان هذا حاله أن لا يقبل صيامه وقيامه.. فالحذر الحذر عباد الله ولو كثر الواقعون، فلا تغتروا بكثرة الهالكين، وانظروا إلى عمل الناجين.وقد أمرنا الله تعالى باجتناب الزور فقال﴿ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ وكثير مما يعرض في الفضائيات هو من قول الزور، ومن مشاهدة الزور، وإذا كان المؤمن مأمورا باجتنابه في العام كله، فاجتنابه في رمضان آكد؛ تعظيما لحرمة الصيام. وأثنى الله تعالى على عباد الرحمن بجملة صفات منها قوله سبحانه﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾.فاتقوا الله ربكم، واجتنبوا ما حرم عليكم؛ ليكمل صومكم، وتستوفوا أجركم؛ فاليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل ﴿ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴾ هذَا وصلّوا رحمكم الله على محمّد بن عبد الله صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمَركم الله تعالى بذلك، فقال: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا اللهمّ صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد اللهم ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا وهب لنا تقواك واهدنا بهداك ولا تكلنا إلى أحدٍ سواك واجعل لنا من كل همٍ فرجاً، ومن كل ضيقٍ مخرجاً اللهم اغننا بمعافاتك من عقوبتك وبرضاك من سخطك واحفظ جوارحنا من مخالفة أمرك اللهم يا من خلق الإنسان وبناه واللسان وأجراه، يا من لا يُخيب من دعاه، هب لكلٍ منا ما رجاه، وبلغه من الدارين مُناه، اللهم اغفر لنا جميع الزلات، واستر علينا كل الخطيئات وسامحنا يوم السؤال والمناقشات، وانفعنا وجميع المسلمين بما أنزلته من الكلمات ، اللهم اجعلنا ووالدينا والمسلمين من عتقائك من النار اللهم اعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداءك أعداء الدين واجعل هذا البلد آمنا رخاء مطمئنا وسائر بلاد المسلمين اللهم وفق ولاة أمرنا لما تحب وترضى وخذ بنواصيهم للبر والتقوى اللهم انصر اخوننا المستضعفين في كل مكان**

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين